المحاضرة الثانية: مقومات البحث المقارن

01- شروط الباحث:

أهداف الدرس:

في نهاية الدرس سيكون الطالب قادرًا على:

1. **فهم المقصود بالبحث المقارن وأهميته في المعرفة الإنسانية.**
2. **تحديد المقومات الأساسية والمراحل المنهجية للبحث المقارن.**
3. **التمييز بين البحث المقارن وغيره من أنواع البحوث.**
4. **تطبيق خطوات إعداد بحث مقارن بمنهجية علمية سليمة.**

نص المحاضرة:

مما لا شك فيه أن لكل علم مقوماته الخاصة التي يمكنه عن طريقها أن يؤسس لنفسه موضوعا خاصا به، ولا شك أيضا أن الباحث في هذا المجال لابد أن تتوفر فيه عدة شروط كي يستطيع أن يكون **باحثا مقارنا**، وهذه الصفات عدّدها مختلف الباحثين في هذا المجال على رأسهم **فرانسوا غويار** وذلك في كتابه الأدب المقارن تحت عنوان **عدة الأدب المقارن**، حيث يرى أن أول شرط يجب أن يتوفر في هذا الباحث أن يكون:

1. **مؤرخا للآداب**
2. **مؤرخا للعلاقات الدولية وهو مفهوم مهم سنوضحه فيما بعد**
3. **يجب أن يكون متقنا للغة الأم التي سيقارن عن طريقها تاريخية أدبه فمثلا رأى غويار أن الكثير من الباحثين تحدثوا عن مفهوم الأدب العالمي الذي أسسه غوته ولكنهم لا يعرفون اللغة الألمانية. وهذا على حد قوله لن يكون بحثا عميقا، إذا لابد من اتقان عدة لغات حتى نحكم على الباحث أنه مقارن.**
4. **عليه أيضا أن يعرف كيف يجد معلوماته الأولى وكيف يقيم بيانا بمصادر الموضوع ومراجعه.**

5. **يفترض أيضا أن يكون عارفا بعدة آداب.**

6. **يراقب تبادل المواضيع والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين أو أكثر.**

7. **التحرر من النزعة القومية:** نبه غويار إلى خطر تحول الأدب المقارن إلى ساحة للتفاخر القومي أو الدعاية الوطنية. على الباحث أن يتحلى بروح عالمية كوزموبوليتانية.

8. **البعد عن الأحكام النقدية المجردة:** يجب أن يكون البحث المقارن وصفيًا وتحليليًا في المقام الأول، يركز على تتبع الظواهر وتفسيرها، وليس إصدار أحكام تقييمية (أيهما أفضل؟). الهدف هو الفهم، وليس التقييم.

9. **الحرص على "العلاقات المباشرة":** مثل فان تيغم، أكد على ضرورة إثبات الصلة الواقعية والاتصال الملموس بين الآداب. رفض المقارنات العامة أو الموازنات التي تفتقر إلى دليل على التأثير أو الاتصال[1].

أما **فان تيغم** فقد حدد الشروط التي يجب أن تتوفر في البحث والباحث المقارن من خلال النقاط الآتية:

1. **الإلمام بلغتين أجنبيتين على الأقل** :شرط أساسي لا غنى عنه للوصول إلى النصوص الأصلية وقراءتها بلغتها الأم، وتجنب أخطاء الترجمة وفقدان الخصائص الجمالية.
2. **المعرفة التاريخية العميقة** :يجب أن يكون الباحث مؤرخًا أدبيًا جيدًا. عليه فهم **السياق التاريخي** للعلاقات بين الآداب، وحركات التلقي والتأثير عبر العصور.
3. التركيز على" **التأثيرات:** يجب أن يثبت الباحث وجود اتصال تاريخي حقيقي ومباشر بين الأعمال أو المؤلفين موضوع الدراسة (مثل: تأثير شكسبير على فلوبير، أو تأثير الشعر العربي على الشعراء الفرنسيين في القرن التاسع عشر). هذا يمنع المقارنات العابرة أو التخمينية.
4. **الحياد والموضوعية:** يجب أن يتجنب الباحث الأحكام القيمية المبنية على الوطنية أو التعصب القومي. دوره هو تتبع وتوثيق الحقائق التاريخية للعلاقات الأدبية الدولية.

---

[1]- فرانسوا غويار: الأدب المقارن، تر: هنري رغيب، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1988، ص ص 15-17.

5. **التحقق من المصادر**: التأكد من أن المؤلف قد قرأ بالفعل العمل الأجنبي أو كان على اتصال به، وليس مجرد تشابه عارض. البحث عن **وسيط** كاتب، مسافر، مترجم يُثبت انتقال الفكرة أو الشكل.

02- ميدان الأدب المقارن

تحدث فرانسوا غويار في كتابه الأدب المقارن عن مجموعة من الخطوات وصفها بأن تشكل في عمومها ميدانا للأدب المقارن وقد لخصها في النقاط التالية:

1. **عناصر الكوزموبوليتانية/العالمية**: لكل عصر كتبه وأدباءه الذين يساهمون في تعريف الآداب والبلدان الأجنبية وهو ما فعلته **مدام دي ستايل** في كتابها **عن ألمانيا** وتتكون هذه العناصر العالمية من النقاط التالية:
   - ✓ **الكتب**: هي تلك الثروات الفكرية التي تمثل الانجاز الثقافي للبلدان وهي متنوعة في مواضيعها ومعارفها
   - ✓ **الأدباء**: من يؤلف ومن يساهم في كتابة تواريخ أمته ومعرفتها
2. **ثروة الأنواع**:
3. **ثروة المواضيع**: تمثل جميع الآداب الأجنبية أو ما يسمى أيضا بتاريخ الموضوعات.
4. **ثروة الأدباء**: نقطة الانطلاق هنا دقيقة جدا في آثار أديب أو أحد أو أحد آثاره .
5. **المنابع**: يمكن اعتبار الأديب ليس مولدا ومنتجا للأفكار وإنما هو **متلقي تأثير**
6. **حركات الأفكار**: لا بد أن يبحث المقارن في عدة آداب ويتتبع حركاتها المرتبطة بمختلف الأفكار

7. **تمثيل البلاد:** كل شعب يلصق بالشعوب الأخرى له خصائصه التي تميزه والتي تمثله خير تمثيل.[2]

أسئلة التقويم الذاتي:

عد لكتاب فرانسوا غويار الأدب المقارن وحاول أن تتعمق أكثر في مقومات وعدة الباحث المقارن مقدما مقارنة بينه وبين رؤية فرانسوا غويار.

---

[2]- ينظر: فرانسوا غويار: الأدب المقارن، ص ص 18-29. وينظر كذلك عزالدين المناصرة: النقد الثقافي المقارن-نظور جدلي تفكيكي-، ص 113.